مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 28، العدد 11: 2020.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(28), No.(11): 2020.

الرِّوَايَاتُ المُفَسِّرَةُ لِأَسْمَاءُ البَارِئِ فِي كِتَابِ (مَعَانِي الأَخْبَار) للشَّيْخِ الصَّدوق

سكينة عزيز الفتليّ
قسم علوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بابل، العراق
qur.sukaina.azeez@uobabylon.edu.iq
هديل حسن عبد
قسم علوم القرآن، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بابل، العراق
azuaajKk777@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 27/ 9/ 2020
تاريخ قبول النشر:12 /10/ 2020
تاريخ النشر: 10/ 12 / 2020

المستخلص:

يتناول هذا البحث الروايات المفسرة لأَسْمَاء البَارِي (عزَّ وجلَّ) وقد تضمن ثلاثة مباحث، يتناول الأَوَّلُ منها الروايات المفسرة للاسم عينه والثَّاني الروايات المفسرة للمخصِّص الوصفي والثَّالث للروايات المفسرة للمخصِّص الإضافي. وتأْتي قيمة هذه الدِّراسة بكونها دراسة عن التَّفسير بالأَثر على وَفْقِ المنهج الأَثريّ، على طبق قاعدة تفسير القُرآن برواية أَهل البيت عليهم السَّلام. وقد كشف البحث عن تفسير الحروف لأَسماء الباري (عزَّ وجلَّ)، وهذا اللَّون من التَّفسير من مختصَّات المعصوم (عليه السَّلام) وهو يكون مقبولًا طالما لا يوجد ما يعارضه من المحكم القرآنيّ، على مستوى النَّصِّ، او على مستوى الظَّاهر من جهة، ولا يوجد ما يعارضه من العقل من جهة أُخرى. وتكشف هذه الدِّراسة عن معاني أَسماء الباري (جَلَّ جَلَالُهُ) الَّتي هي من جنس التَّفسير الظَّاهر. والبحث بطبيعته لم يكن مقارنًا، إِلَّا أَنَّه وقف على أَقوال المفسِّرينَ؛ ليكشف عن أَثر التَّفسير الرِّوائيّ في نتاج المفسِّرينَ. وقد اعتنيْنَا بـــالسَّند لهذه الرِّوايات المفسِّرة لأَسماء الباري (جَلَّ جَلَالُهُ).

الكلمات الدالة: الصَّدوق، معاني، أخبار، روايات، تفسير، أسماء، الباري

Narrations Interpreting Allah's Names in "Ma'ani Al-Akhbar" by Sheikh Al-Sadouq

Sukaina Azeez Alftly
Department of Quran Sciences / College of Islamic Sciences / University of Babylon Iraq
Hadeel Hasan Abed
Department of Quran Sciences / College of Islamic Sciences / University of Babylon Iraq

Abstract

This research deals with the interpretations of Allah's Names (Glorified and Exalted He be) and it includes three sections, the first of which deals with the narrations that explain the name itself; the second deals with the interpretations of the narratives that explain the description given to the name and the third for the narrations that explain the additional provision. The value of this study is that it is a study of exegesis via narrations, according to the rule of interpreting the Qur'an with the narration of Prophet Muhmmad's infallible progeny (peace be upon them). The research interprets the letters of Allah's Names (Glorified and Exalted He be), and this type of interpretation is the specialty of the infallible (peace be upon him) and it is acceptable as long as there is no contradiction to it from the Holy Qur'an, on the level of the text (at the level of the explicit meaning) on the one hand, and there is nothing it is opposed to by the mind on the other hand. This study explains the meanings of Allah's Names (Glorified and Exalted He be) which are of the same type of explicit interpretation. Though not comparative, the research is based on the sayings of the commentators to reveal the effect of narrative exegetes on their work. The research also takes care of how these narrations that interpret Allah's Names (Glorified and Exalted He be) were transmitted from generation to generation.

Key words: Al-Saduq, meanings, news, novels, interpretation, names, Al-Bari

by University of Babylon is licensed under a Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH)
Creative Commons Attribution 4.0 International License

1- المقدِّمة

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله ربّ العالمينَ والصَّلاة والسَّلام على أشرف الخلق أجمعين محمَّد (صلَّى الله عليه وآله وسلَّم)، وعلى أهل بيته الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ (صلوات الله عليهم أجمعينَ). إنَّ الرِّوايات المفسِّرة لأسماء الباري (جلَّ جلالُهُ) في كتاب (معاني الأخبار)/ ط1، مؤسسة الصادق للنشر/ قم المشرَّفة، 1438هـ)، للشَّيخ الصَّدوق: أبي جعفر، محمَّد بن عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويه القمي (ت/381هـ)، جديرة بالبحث والدِّراسة؛ لكونها تقدِّم تفسيرًا أثريًّا برواية أهل البيت (عليهم السَّلام).

وقد اخترْنا هذا العنوان؛ لكونه بكرًا، لم يدرسْ مِنْ قبل، فهذه أوَّل دراسةٌ في هذا الباب في (معاني الأخبار) للصَّدوق الثَّاني، او ما يُعْرَفُ بـ (الصَّدوق الابن)، فهو يمثِّلُ أحد اتِّجاه (الصَّدوقين)- الممثِّلينِ للاتِّجاه الأخباريّ- الَّذي ظهر في القَرْن الرَّابع الهجْريّ، والقطبانِ هما: القطب الأوَّل: عليّ بن بابويهِ القُميّ، المعروف بـ (ابن بابويه)، ويسمى بـ(الصَّدوق الأوَّل)، او (الصَّدوق الأَب)، والقطب الثَّاني: محمَّد بن عليّ، المعروف بالشَّيخ الصَّدوق، ويسمَّى (الصَّدوق الثَّاني)، او (الصَّدوق الابن).

الَّذي هو قبالة الاتِّجاه (الاجتهادي) الَّذي مثَّله القديمانِ: ابن أبي عقيل العُمانيّ (ت/350هـ)، وابن الجُنيد البغداديّ (ت/381هـ) عند الفقهاء في عصر الغيبة الكبرى التي بدأت بوفاة السفير الرابع سنة (329هـ) الَّتي ظهر فيها اتجاهانِ: في الفكر الإماميّ: أمَّا الاتِّجاه الأوَّل فهو الاتِّجاه (الحديثيّ)- أي: يفسر القرآن بالرِّواية- وأمَّا الاتِّجاه الثَّاني فهو الاتِّجاه (الاجتهاديّ)، أي: يعتمد العقل في التَّفسير، ولا يقتصر على النَّقل.

ولمَّا كانت هذه الدِّراسة غير مسبوقة – أي: دراسة جديدة في بابها – وذلك لكونها تتلمّس (المنهج الأثريّ)، أي: (تفسير القرآن برواية أهل البيت)عليهم السَّلام في عهد مبكِّر في القَرْن الرَّابع الهجريّ من داخل الاتِّجاه (الحديثيّ) المبكِّر في تُراث القُطْب الثَّاني لهذا الاتِّجاه في ذلك العهد؛ ألا هو الشَّيخ الصَّدوق: أبو جعفر، محمَّد بن عليّ بن بابويهِ القُميّ (ت/381هـ)، لذا اخترْناها. وبعبارة أُخرى: هي تسعى جاهدة أَن تستخلص تفسيرًا أَثريًّا لتفسير أسماء الباري (جَلَّ جَلَالُهُ)، أي: (تفسير القرآن بالرِّواية): رواية المعصومينَ (صلوات الله عليهم أجمعينَ)، ومن هنا تظهر أهميَّة الدِّراسة وقيمتها المعرفيَّة. ولما كان المنهج العامّ في تُراث الشَّيخ الصَّدوق هو منهج روائيّ، والمنهج الرِّوائيّ الخاص بتفسير أسماء الباري (جَلَّ جَلَالُهُ) متناثر في كتاب (معاني الأخبار)؛ لذا تطلب الأمر أن تكون الدراسة بعنوان: (الرِّوَايَاتُ المُفَسِّرَةُ لأَسْمَاءُ البَارِي في كِتَابِ: مَعَانِي الأَخْبَار للشَّيْخِ الصَّدوق)، أَي: إِنَّها قامتْ بتتبُّع تفسير(أَسماء الباري) في(معاني الأَخبار)، وتقدّم من المجموع منهجًا متكاملًا، وهو المطلوب، أَي: يتحقَّق الهدف من الدِّراسة، وتبرِّز أهميِّتها، وتتضح أسباب اختيار الموضوع للدِّراسة.

وقد قام البحث على مقدِّمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، والخاتمة والنَّتائج، وثبت المصادر والمراجع. كان التَّمهيد بعنوان:(تعريف بمعاني الأخبار ومؤلِّفه ومنهجه)، وكان المبحثُ الأوَّلُ بعنوان: (الرِّوايات المفسِّرة للاسم عينه)، وكان المبحثُ الثَّاني بعنوان:(الرِّوايات المفسِّرة للمخصِّص الوصفيّ)، وكان المبحثُ الثَّالث بعنوان: (الرِّوايات المفسِّرة للمخصِّص الإضافيّ)

وآخر دعوانا أَنِ الحمد لله ربِّ العالمينَ.

2- التَّمهيد: (تعريفٌ بالشَّيخ الصَّدوق وكتابه المعاني)

2-1 المحور الأوَّل: تعريفٌ بـ (الشَّيخ الصَّدوق)

هو رئيس المحدِّثين والشَّيخ الأَقدم محمَّد بن عليّ بن الحُسين بن موسى بن بابويهِ القُمِيّ، المعروف بـــ (الشَّيخ الصَّدوق). ويكنى: أبو جعفر[1]. وقد لقَّبه الشَّيخ الطُّوسيّ بـــ (عماد الدِّين) لرفعة مقامه[2].

ولد الشَّيخ الصَّدوق بمدينة (قم المشرَّفة) في حدود سنة (306هـــ) ونشأ فيها تحت رعاية أبيه الذي كان اتقى النَّاس في زمانه وأعلمهم، وتوفيَّ سنة (381هـــ)[3].

ومن المعلوم أنَّ ولادته كانت في أوائل مدة النَّائب الثَّالث للإمام المهدي (عجَّلَ اللهُ فرجَهُ الشَّريف): الحُسين بن روح النَّوبختيّ، وإنَّ ولادته كانت بدعاء الإمام الثَّاني عشر، المهدي المنتظر (عجَّلَ اللهُ فرجَهُ الشَّريف).

فقد ورد أنَّ والده لم يكن له ولد، فذهب إلى بغداد، وطلب من النوبختيّ أَنْ يسأَل الإمام الدُّعاء له بإنجاب ولد، فأَبلغَهُ النَّوبختيّ أنَّ الإمام (عليه السَّلام) دعا له، وأَنَّه سيولد له ولد مبارك ينفع الله به، فولد الصَّدوق هو وأَخوه الحُسين[4].

2-2 المحْوَرُ الثَّانِي: تَعْرِيفٌ بـــ (مَعَانِي الأَخْبَارِ)

كان الكتاب مورد توجه العلماء إذ يعدونه من الأصول الروائية المهمة، وقد وردت روايات الكتاب في مختلف المجاميع الروائية الشيعية وغيرها، وهذا قد أشرنا إليه عند تفسير الآية فنقول: وهذه الرواية وردت في مصادر أخرى كالكتب الأربعة، وبحار الأنوار[5]، ووسائل الشيعة[6]، وغيرها من المصادر.

يقول المحقق الكبير علي أكبر غفاري: إنّي منذ عهدي بالكتب أتمنى أن أقوم بنشر بعض آثار شيخنا رئيس المحدثين الصدوق، فانتخبت منها على كثرتها هذا الأثر النفيس وذلك لأهمية موضوعه بين كتبه، لأنّه في بيان غرائب الأحاديث ومشكلات الأخبار عن لسان أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وكأنّه بمنزلة القاموس في فهم كلماتهم، ومغازي أخبارهم، ومعاني ألفاظهم، وهو ما لم يسمح الدهر بمثله، ولم ينسج على منواله، ولا حرر على شاكلته ومثاله، وقلّ ما توجد فوائده في غيره[7].

يحتوي كتاب (معاني الأخبار) للشَّيخ الصَّدوق على (809) حديثًا في كلا المجلدين، فقد جاءَتْ هذه الاحاديث في (428) بابًا، أَمَّا المجلَّد الأَوَّل فقد تضمَّنَ (183) بابًا، ابتدأَ بـــ (باب: وجه تسمية الكتاب) وخُتم بـــ (باب: معنى ذكر الله كثيراً)[8]، وأَمَّا المجلَّد الثَّاني فقد احتوي على (245) بابًا، ابتدأ بـــ (باب: معنى الغايات)ـــ وختم بـــ (باب: نوادر المعاني)[9]. ولا يقتصر الكتاب على الرِّوايات التَّفسيريَّة فقط، وإنَّما احتوى على رواياتٍ مختلفة، كالفقه، والكلام، والأخلاق، والتاريخ وغيرها[10].

ويبدو لنا أنَّ منهجه في ترتيب الأَحاديث، بحسب صحَّتها عنده، لذا نجده يؤخِّر الأَحاديث المشكوك إلى باب (النَّوادر).

3- المبحثُ الأَوَّلُ: الروايات المفسرة للاسم عينه.

في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة:1).

عن عبدالله بن سنان، قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن الآية الكريمة المذكورة آنفاً، فقال: ((الباءُ بهاء الله، والسين سناءُ الله، والميم مجد الله، قلت: اللهُ؟ قال: الألف آلاءُ الله خَلقهُ من النعم بولايتنا، واللامُ إلزام اللهُ خَلقهُ ولايتنا، قلتُ: فالهاء ؟ هَوَانٌ لمن خَالفَ مُحمداً وآل محمدٍ صلوات الله عليهمُ))[11] وسند هذه الرواية كالصحيح[12] وهذه الرواية موجودة في كتبه الأخرى[13]

أورد الشيخ القُمي (حيٌ: 307هـ) اسم الله في تفسير البسملة، واستشهد برواية الإمام الصادق (عليه السلام) المذكورة آنفاً، إلا أنهُ رواها عن طريق المفضل بن عمر وأبي بصير، موصولة الإسناد إلى الإمام الصادق إلا أنه يذكر في هذه الرواية أن (الميم) ملك الله[14].

وذكر العياشي (ت:320هـ) عدة روايات في تفسير الآية الكريمة، وكانت إحدى تلك الروايات الرواية المذكورة آنفاً التي ذكرها الشيخ الصدوق، إذ قال: أما (الميم)، ورووا غيره عنه ملك الله ونقلها بأسناد عن عبد الله بن سنان أيضاً[15].

وواضح أَنَّ هذا اللون من التفسير من مختصات المعصوم (عليه السلام)، فالمعروف عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه بدأ يفسر لابن عباس آية البسملة في أول الليل، فأسفر الصباح وهو لم يتجاوز تفسير حرف (الباء) منها[16].

مما تقدم يظهر لنا.

1- تضمنت هذه الرواية تفسير حروف الاسم: لفظ الجلالة (الله).
2- تفسير (الألف): آلاءُ الله خَلقهُ من النعم بولاية أهل البيت (عليهم السلام).
3- تفسير (اللام): إلزام الله خَلقهُ ولاية أهل البيت (عليهم السلام).
4- تفسير (الهاء): هَوَانٌ لمن خَالفَ أهل البيت (عليهم السلام).
5- إِنَّ هذه الرواية التفسيرية بلحاظ السَّند هي كـ (الصَّحيحة).
6- إِنَّها وردَتْ في كتاب (التَّوحيد) للشيخ الصّدوق.
7- إِنَّ هذه الرواية لها مصدران: (معاني الأخبار)، و(التوحيد).
8- إِنَّها وردَتْ في كتب التَّفسير، نحو (تفسير القُمِيّ)، وتفسير (العيَّاشي).
9- هذا اللون من التفسير هو من جنس التفسير (الباطن)، لا من جنس التفسير (الظاهر).
10- هذا اللون من التفسير ظهر في كتب التفسير الأثري، لا سيما تفاسير القرن الرابع الهجري.
11-إِنَّ تفسير أَنَّ الحروف للفظ القرآني مستند إلى مبنى أَنَّ (للقرآن ظهرا وبطنا).
12-هذا اللون من التفسير من مختصات المعصومين (عليهم السلام)؛ ويؤيد هذا ما ذكره الشيخ ناصر مكارم الشيرازي عن تفسير أمير المؤمنين (عليه السلام) (ت: 40هـ) لحرف الباء من البسملة لابن عباس (ت:69هـ). وهو علم مختص بهم لا يتعدى لسواهم.
13-لما كانت هذه الرواية كالصحيحة (سندا)، وليس هناك ما يعارضها من المحكم القرآنيّ او ظاهره، ولا تتعارض مع العقل، لذا هي مقبولة على مستوى التفسير الباطن.

4- المبحثُ الثَّاني: الروايات المفسرة للمخصِّص الوصفي.

4-1: الفرعُ الأوَّل: تفسير الوصف (الْأَوَّل وَالْآخِر).

في قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (الحديد:3)

عن ميمُون البان، قال: سمعت الإمام الصادق (عليه السلام) قد سُئل عن الآية الكريمة المذكورة آنفا، فقال: ((الأوَّلُ لا عن أولٍ قبلهُ وَلا عَنْ بدءٍ سبقهُ، وآخرٌ لا عن نهايةٍ كما يعقلُ من صفاتِ المخلُوقين، ولكنْ قديمٌ أولٌ، وآخرٌ لم يزل ولا يزالُ بِلا بدءٍ ولا نهايةٍ، لا يقعُ عليه الحدوثُ، ولا يحُولُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، خالقُ كُلِّ شيءٍ))[17]

وسند هذه الرواية كالحسن[18]. وهذه الرواية موجودة في كُتبه الأخرى[19]، وقد ذكرها الكليني(ت: 328هـ) أيضًا[20].

قال الثعلبي (ت: 427هـ) عند تفسير الآية الكريمة: ((هو الأول قبل كلّ شيء بلا حد ولا ابتداء، كان هو ولا شيء موجود. و(آخر) بعد فناء كل شيء، والظاهر الغالب العالي على كل شيء وكلُ شيء دونه، (الباطن) العالم بكل شيء، ولا أحد أعلم منه، وقال ابن عمر: الأول بالخلق والآخر بالرزق))[21].

أما الماوردي (ت: 450هـ) فقال: الأول قبل كلُ شيء لقدمه، والآخر لأنه بعد كلّ شيء لبقائه[22].

قال الشيخ الطوسي (ت: 460هـ) قيل فيها قولان ـــ أحدهما قول البلخي: أنه كقول القائل: فلان أول هذا الأمر وآخره وظاهره وباطنه، أي عليه يدور الأمر وبه يتم، والثاني: هو أول الموجودات لأنه قديم سابق لجميع الموجودات[23].

أما عبد علي جمعة العروسي (ت: 1112هـ) فقد قال: ((سأل عثمان بن أبي يعفور الإمام الصادق (عليه السلام) عن الآية الكريمة، فقال لهُ: أما الأول فقد عرفناه، وأما الآخر فبيّن لنا تفسيره، فقال (عليه السلام): أنه ليس شيء إلا يبدأ ويتغير او يدخله التغيير والزوال، وينتقل من لون إلى لون، ومن هيئة إلى هيئة، ومن صفة إلى صفة، ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة، إلا رب العالمين))[24].

ويذكر ابن عاشور (ت: 1392هـ) الآية الكريمة، فيقول: أن الأول والآخر من صفات الله العظيمة التي تأتي دائماً بعد اسمه الأعظم (الله)[25].

أما محمد سيد طنطاوي (ت: 1431هـ) فقد قال: ((أن الله الأول والسابق على جميع الموجودات، إذ هو موجدها ومحدثها ابتداء، فهو موجود قبل كلّ شيء وجودا لا حدود لبدايته، والآخر أي الباقي بعد هلاك وفناء جميع الموجودات، كما قال تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ (القصص: 88)، وأوثر لفظ الآخر على لفظ الباقي ليتم الطباق بين الوصفين المتقابلين))[26].

قال المرجع المعاصر ناصر مكارم الشيرازي: ((الوصف هنا بـــ (الأول والآخر) تعبير رائع عن أزليته وأبديته عزّ وجلّ، لأننا نعلم أن وجوده لا متناهي، وأنه واجب الوجود، أي: إنَّ وجوده من نفس ذاته، وليس خارجاً عنه حتى تكون له بداية ونهاية، وبناء على هذا فإنه كان الأزل وسيبقى إلى الأبد، أنه بداية عالم الوجود وسيبقى بعد فناء العالم، وبناءً على هذا فإن التعبير بـــ (الأول والاخر) ليس له زمان خاص أبداً وليس فيه إشارة إلى مدة زمنية معينة))[27] .

مما تقدم يظهر لنا

1- إنَّ هذه الرواية التفسيرية سندها كالحسن.
2- إنَّ هذه الرواية وردَتْ في كتاب (التوحيد) من كتبه الأخرى، ووردتْ في الكافي، للكلينيّ.
3- إنَّ هذه الرواية فسَّرتْ الأوَّل بـــ ((الأوَّلُ لا عن أولٍ قبلهُ ولَا عَنْ بدءٍ سبقهُ...كما يعقلُ من صفاتِ المخلُوقين، ولكنْ قديمٌ أولٌ.... لا يقعُ عليه الحدوثُ، ولا يحُولُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، خالقُ كُلِّ شيءٍ)).
4- إنَّ هذه الرواية فسَّرتْ الآخر بـــ ((آخرٌ لا عن نهايةٍ كما يعقلُ من صفاتِ المخلُوقين... وآخرٌ لم يزل ولا يزالُ بِلا بدءٍ ولا نهايةٍ، لا يقعُ عليه الحدوثُ، ولا يحُولُ مِنْ حالٍ إلى حالٍ، خالقُ كُلِّ شيءٍ)).
5- إنَّ ما ورد عن المفسّرينَ هو إعادة صياغة للرواية، او هو بيان لها لكن بأسلوب المفسّرين

4-2: الفرعُ الثَّاني: تَفْسِيرُ الوصف (نُور).

في قوله: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور:35)

الرِّواية الأُوْلى

عن العبَّاس بن هلالٍ، قال: سألت الإمام الرضا (عليه السلام) عن الآية الكريمة، فقال: ((هاد لأهل السَّماء وَهادٍ لأهل الأرض))[28]. وسند هذه الرواية حسن[29]. وهذه الرواية موجودة في كتبه الأخرى[30]، وقد ذكرها الكليني أيضاً[31].

قال الشيخ الطوسي (ت: 460هـ): في تفسير الآية الكريمة، قيل في معناه قولان: ((أحدهما: إنَّ الله هادي أهل السموات والأرض، وهذا القول ذكره ابن عباس، والثاني: إنَّه منور السموات والأرض بنجومها وشمسها وقمرها))[32]. وواضح أنَّ القول الأوّل المنسوب لابن عباس هو عين ما قاله الإمام الرضا عليه السلام، ومرد قول ابن عباس لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ لأنَّه أخذ التَّفسير عنه، لا سيَّما الموافق لما روي عن أئمَّة أهل البيت عليهم السَّلام.

يقول الفيض الكاشاني (ت:1091هـ): إن الله تعالى هو المظهر لنفسه، خالق ما في السموات وما في الأرض، ثم يذكر الرواية الواردة عن الإمام الرضا (عليه السلام) نقلها عن كتاب التوحيد للشيخ الصدوق، ثم يقول وفي رواية البرقي أن الله هدى من في السموات وهدى من في الأرض[33]. وواضح أنَّ مؤدَّى الروايتين واحد، وأمَّا العروسي (ت: 1112هـ) فقد ذكر رواية الشيخ الصدوق عند تفسيره للآية الكريمة [34].

ويذكر المرجع المعاصر ناصر مكارم الشيرازي الآية الكريمة، ثم يقول: ما أحلى هذه الآية، وما أثمنها من كلمات، نعم إن الله تعالى هو النور الذي يغمر كلّ شيء ويضيئه، في حين يرى بعض المفسرين أن كلمة (النور) تعني (الهادي)- وهو عين ما تفسير الرواية- وذهب قُسم آخر منهم أن المراد هو (المنير)، وفسرها آخرون بـــ (زينة السماوات والأرض)[35]. ثم يقول كلّ ما تقدم من هذه المعاني صحيحة، ولكن أن مفهوم هذه الآية أوسع بكثير مما ذُكر، ثم يقول: إن للنور معنى وأسع او معاني عدة، إضافة إلى ذلك أن الأئمة المعصومون (عليهم السلام) أنوار إلهية، لأنهم حفظة دين الله بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، والإيمان نور لأنه رمز الالتحام به سبحانه وتعالى، والعلم نور، لأنه السبيل لمعرفة الله عزّ وجلّ، ولهذا: أن الله نور السموات والأرض، وأن الله تعالى هو الظاهر بذاته والمظهر لغيره، ولا يوجد أظهر من الله تعالى في العالم، وكل الأنوار والأشياء تظهر من بركات وجوده، ثم يقول وهذا ما جاء في كتاب التوحيد عن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، ويذكر الرواية المذكورة آنفًا[36] .

مما تقدم يظهر لنا

1- إنَّ هذه الرواية التفسيرية سندها (حَسَن).
2- إنَّ هذه الرواية وردَتْ في كتاب آخر غير (المعاني) هو (التوحيد)، ووردتْ في (الكافي)، للكلينيّ.
3- إنَّ هذه الرواية فسَّرتْ (نُور) بـــ (الهادي).
4- إنَّ هذه الرواية سجَّلت حضورا في كتب التفسير من المتقدمينَ والمتأخرينَ والمعاصرينَ.
5- إنَّ هذا المعنى الروائي هو إحدى معاني النور، وهو معنى صحيح، وإن كان مفهوم النور أوسع من هذا المعنى، او المعاني الأخرى التي ذكرت عن طريق غير الرواية.
6- الله هو النور المظهر لذاته ولغيره، ومن المعاني الأخرى للنور الإلهية (أئمة أهل البيت)، و(العلم)، (الإيمان).
7- إنَّ ابن هلال سأل الإمام الرضا (عليه لسلام) عن معنى (نور) الوارد في بداية الآية فقط.

الرّواية الثّانيَة

عن الفُضيل بن يسار، قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (النور: 35)، فقال: ((كذلك الله عز وجلّ، قلتُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾؟ قال لي مُحمَّدٌ صلّى اللهُ عليه وآله. قُلتُ: ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ ؟ قال: صَدرُ مُحمَّدٍ صلّى الله عليه وآله. قُلتُ: ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾؟ قال: عِلمُ رسول الله صلّى الله عليه وآله صُدِّرَ إلى قلب عليّ عليه السلامُ. قُلتُ: ﴿ كَأَنَّهَا ﴾ ؟ قال: لأيِّ شيءٍ تقرأ كأنها ؟ وكيف أقرأ جُعلت فداك ؟ قال: (كأنهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ). قُلتُ: ﴿ يُوقَدُ من شجرةٍ مُباركةٍ زيتُونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربيةٍ ﴾ ؟ قال: ذلك أمير المؤمنين عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلامُ، لا يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ. قُلتُ: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ قال: يكادُ العِلمُ يخرجُ من فم العالم من آل مُحمّد صلّى الله عليه وآله من قبل أن ينطق به. قُلتُ: ﴿ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ ؟ قَالَ: الإمامُ على أثر الإمام))[37]. وهذه الرواية وردت في كتبه الأخرى (التوحيد)[38]، وقد ذكرها الكُليني أيضًا[39] .

أما الفضيل بن يسار فقد سأل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الآية ذاتها، وكان جواب الإمام هو ذاته ما ذكره الرضا (عليه السلام) إلا أن الصادق (عليه السلام) قال كذلك الله عزّ وجل، إلا أنّ الفضيل بن يسار سأل الصادق (عليه السلام) عن تكملة تفسير الآيات التي تليها وقد فسرها له، ونحن هنا بصدد إيراد أراء المفسرين عند تفسيرهم لهذه الآيات، وقد انقسم المفسرون إلى أقسام عدة، بعضهم من اكتفى برواية الشيخ الصدوق او أوردها من كتاب (الكافي)، وبعضهم فسرها بالتفسير الذي ذكره الشيخ الصدوق نفسه، وبعضهم توسع في تفسير هذه الآيات،على النحو الآتي:

أما رواية الشيخ الصدوق فقد ذكرها الفيض الكاشاني (ت:1091هـ)[40]، والمجلسي (ت:1111هـ)[41]، والعروسي (ت:1112هـ)[42]، وهاشم معروف الحسني (ت: 1404)[43]، وغيرهم عند تفسيرهم للآية الكريمة. وأما الشيخ القُمي فقد قال: ((حدثنا محمد بن همام، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد، قال: حدثنا محمد بن الحسين الصائغ، قال: حدّثنا الحسن بن عليّ، عن صالح بن سهل الهمداني قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول في قول الله تعالى: ﴿ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (النور: 35) ﴾ ــ المشكاة فاطمة عليها السلام ــ فيها مصباحٌ المصباحُ ــ الحسن والحسين عليهما السلام ــ في زُجَاجَةٍ الزُّجاجةُ كأنّها كوكبٌ دُرِّيٌّ ــ كأن فاطمة عليها السلام كوكب درّيّ بين نساء أهل الأرض ــ يُوقدُ منْ شَجَرةٍ مُباركةٍ ــ يوقد من إبراهيم عليه وعلى نبينا وآله السلام ــ زيْتُونةٍ لاّ شرقيةٍ ولا غربيةٍ ــ يعني لا يهودية ولا نصرانية ــ يَكادُ زَيتُها يُضيء ــ يكادُ العلم يتفجر منها ــ ولو لَم تمسَسهُ نارٌ نُورٌ على نورٍ ــ إمام منها بعد إمام ــ يهدي الله لنُورهِ منْ يشاء ــ يهدي الله للأئمة من يشاء أن يدخله في نور ولا يتهم مخلصاً))[44]، ثم يقول القمي (رحمه الله): روي عن عبدالله بن جندب، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أساله عن تفسير هذه الآية، المذكورة آنفاً، فكتب إليّ الجواب: ((أما بعد، فإنّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أمين الله في خلقه، فلما قبض النبي (صلى الله عليه وآله) كنّا أهل البيت ورثته، فنحن أُمناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا، وأنساب العرب ومولد الإسلام.....، مثلنا في كتاب الله كمثل مشكاة، والمشكاة في القنديل، فنحن المشكاة فيها مصباح، المصباح محمد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ المِصباحُ في زُجاجةٍ﴾ من عنصره الطاهر ﴿ الزُجاجةُ كأنّها كوْكبُ دُرِّيٌّ يُوقدُ من شجرةٍ مُّباركةٍ زيتونةٍ لاّ شرقيةٍ ولا غربيّةٍ: لا دعيّة ولا منكرة ــ يكادُ زيتها يُضيءُ لو لم تمسسهُ نارٌ: القران، نُورٌ على نُورٍ: إمام بعد

إمام ــ يهدي الله لنوره من يشاء، ويضربُ اللهُ الأمثال للنّاس، ﴿واللهُ بكُل شيء عليمٌ ﴾، فالنور علي عليه السلام يهدي الله لولايتنا من أحبّ، وحقّ على الله أن يبعث وليّنا مشرقاً وجهه منيراً برهانه، ظاهرة عند الله حجّته، حقّ على الله أن يجعل أولياءنا المتقين مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. فشهداؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، ولشهيد شيعتنا فضل على كلّ شهيد غيرنا بتسع درجات. نحن النجباء، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أولاد الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله)...))[45].

وذكر الثعلبي (ت:427هـ) عدة أقوال في تفسير (نور)، أحدها: إن الله هادي أهل السموات والأرض لا هادي[46]. وهو عين الرواية الأولى. وبمثل هذا قال أبو الحسن الماوردي (ت: 450هـ) في أحد الوجوه التي ذكرها. وفي قوله ﴿ مَثَلُ نورهِ ﴾ ذكر وجوها، أحدهما: مثل نور محمد صلى الله عيه وآله وسلم))[47]

وقالت الصوفية: ضرب المثل لذلك النور، حين يقذفه في قلب المؤمن، فقال: ﴿ مثلُ نُوره ﴾ أي: صفة نور العجيبة في قلب المؤمن))[48] .

مما تقدم يظهر لنا

1- إنَّ هذه الرواية وردَتْ في كتاب آخر غير (المعاني) هو (التوحيد)، ووردتْ في (الكافي)، للكلينيّ.
2- إنَّ هذه الرواية بيَّنت تفسير (نُور) على وفق منهج تفسير القرآن بالقرآن، إلا أن البيان القرآني ما زال مبهمًا، بيَّنته الرواية.
3- إنَّ هذه الرواية من التفسير (الباطن)، لا التفسير (الظاهر).
4- إنَّ هذه الرواية سجَّلت حضورا في كتب التفسير من المتقدمينَ والمتأخرينَ والمعاصرينَ.
5- القراءة يراد بها المعنى؛ لأنَّها فسَّرت المشكاة بـــ (علم رسول الله)، فيكون المعنى (كأنَّه كوكبٌ دُرِّيٌّ).
6- يُكاد يتفق أغلب المفسرين على أن الله تعالى هو نور السموات والأرض، سواء نورهما بالشمس او بالقمر او بالنجوم او بالأنبياء او بالعلم.
7- مرجع النور كلهُ لله تعالى، وهو هادٍ لأهل السماء كما أنه هادٍ لأهل الأرض.
8- قال أغلب المفسرين أن المشكاة قلب او صدر المؤمن، ومحمد (صلى الله عليه واله وسلم) أفضل المؤمنين وأكملهم أيماناً، وأحسنهم أخلاقاً. فلذا لا تنافي بين الرواية وأراء المفسرين.
9- من فسر النور بالعلم ولم يتطرق إلى أن المشكاة صدر محمد(صلى الله عليه واله وسلم)، فلا تناقض فيه؛ لأن العلم من الله وقد أودعهُ في صدر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).
10-سياق الآيات يدل على أن العلم والأحكام أودعها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند أهلُ البيت (عليهم السلام) من بعده، وهذا ما ذكرته الروايات الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام).
11-مجمل ما قيل: هو مصاديق، وأهل البيت أرقى تلك المصاديق.

5- المبحثُ الثَّالث: الروايات المفسرة للمخصِّص الإضافي

5-1: الفرعُ الأوَّل: تفسير المضاف إليه (المَشَارِقِ وَالمَغَارِبِ)

في قوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ (المعارج:40)

عن عبدالله بن أبي حماد، قال: سألت الإمام علي (عليه السلام) عن الآية الكريمة المذكورة آنفاً، فقال: ((لها ثلاثُ مائةٍ وستون مشرقاً، وثلاثُ مائةٍ وستُّون مغرباً، فَيومُها الَّذي تُشرقُ فيه لا تعودُ فيه إلا من قابلٍ،

ويومُها الَّذي تغرُبُ فيه لا تعودُ فِيه إلا من قابل))[49]. وسند هذه الرواية صحيح[50]. وهذه الرواية لم ترد إلا في معاني الأخبار، ويعد كتاب المعاني المصدر الوحيد لها.

قال الشيخ القُمي (حيّ: 307هـ): عند تفسير الآية الكريمة المذكورة آنفاً، ((فلا أُقسم ــ أي أُقسم ــ بربِّ المشارق والمغارب، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: مشارق الشتاء ومغارب الصيف، ومغارب الشتاء ومغارب الصيف))[51]، أما الشيخ الطبرسي (ت: 548هـ) يقول عند حديثه عن الآية الكريمة المذكورة آنفاً، ((روي عن الأصبغ بن نباته أنه قال: خطب بنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في مسجد الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس سلوني فأن بين جوانحي علماً جما، فقام إليه ابن الكوا، فقال: يا أمير المؤمنين وجدت كتاب الله ينقض بعضه بعضاً، قال: ثكلتك أمك يا بن الكوا، كتاب الله يصدق بعضه بعضاً، ولا ينقض بعضه بعضاً، فسل عما بدا لك. قال: يا أمير المؤمنين سمعته يقول: ﴿رَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ (المعارج:40)، وفي آية أُخرى: ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾ (الرحمن:17)، وقال في آية أخرى﴿رب المشرق والمغرب﴾ (المزمل:9)، قال: ثكلتك أمك يا ابن الكوا، هذا المشرق وهذا المغرب، وأما قوله ﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾، فإن مشرق الشتاء على حِدَة، ومشرق الصيف على حِدَه، أما تعرف ذلك من قرب السماء وبعدها؟ وأما قوله: ﴿رب المشارق والمغارب﴾ فإن لها ثلاثمائة وستين برجاً، تطلع كل يوم من برج، وتغيب في آخر، فلا تعود إليه إلا من قابل ذلك اليوم))[52]، وهذه الرواية قد ذكرها الفيض الكاشاني (ت:1091)[53]، والمجلسي (ت:1111هـ)[54]، والعروسي(ت:1112هـ)[55]، والشيخ علي النمازي (ت: 1405هـ)[56]، والسيد حسن القبانجي (ت:1411هـ) بألفاظ متفاوتة قليلة التفاوت[57]، قال الراغب (ت: 502هـ): ((إذا قيلا بالأفراد فإشارة إلى ناحيتي الشرق والغرب، وإذا قيلا بلفظ التثنية فإشارة إلى مطلعي ومغربي الشتاء والصيف، وإذا قيلا بلفظ الجمع فاعتبار بمطلع كل يوم ومغربه او بمطلع كل فصل ومغربه، قال ((رب المشرق والمغرب، رب المشرقين ورب المغربين،رب المشارق والمغارب))[58]، وقال شهاب الدين المصري (ت:815هـ): ((رب المشارق والمغارب، يعني مشارق الشتاء ومغاربها، وإنما جمع لاختلاف مشرق كل يوم ومغربه)) [59] .

ويقول محمد بن صالح العثيمين: وردت المشرق والمغرب في القرآن على ثلاثة أوجه: مفردة، ومثنّاة، وجمع، فجاءت مفردة في سورة المزمل، وجاءت مثنّاة في سورة الرحمن، وجاءت جمعاً في سورة المعارج، والجمع بين هذه الأوجه الثلاثة أن نقول: أما (المشرق) فلا ينافي (المشارق)، ولا (المشرقين)، لأنه مفرد محلى ب (أل)، فهو للجنس الشامل للواحد والمتعدد، وأما المثنى، و الجمع، فالجمع بينهما أن يقال: إن جمع (المشارق)، و(المغارب) باعتبار الشارق والغارب، لأن الشارق والغارب كثير: الشمس، والقمر، والنجوم، كله له مشرق ومغرب، فمن يحصي النجوم او باعتبار مشرق كل يوم ومغربه، لأن كل يوم للشمس مشرق ومغرب، وللقمر مشرق ومغرب، وثنّى باعتبار مشرق الشتاء، ومشرق الصيف، فمشرق الشتاء تكون الشمس في أقصى الجنوب، ومشرق الصيف في أقصى الشمال، وبينهما مسافات عظيمة لا يعلمها إلا الله))[60]. مما ذكره يتضح قدرة الله تعالى وأنه لا خالق سواه، ووحده القادر على موازنة الكون والمشارق وما في السموات والأرض.

أما المرجع المعاصر ناصر مكارم الشيرازي فبعد أن ذكر الآيات الثلاثة المذكورة آنفاً، فقد قال: يرى بعض من ذوي النظرات الضيقة تضاد هذه التعابير، في حين أنها مترابطة، وكل آية تشير إلى معنى خاص، فالشمس في كل يوم تطلع من نقطة جديدة، وتغرب من نقطة جديدة أخرى، وعلى هذا فلدينا بعدد أيام السنة مشارق ومغارب، ومن جهة ثانية فإن لدينا من بين كل هذه المشرق والمغارب هناك مشرقان ومغربان ممتازان،

حيث أن أحدهما يظهر في بدء الصيف، أي الحد الأعلى لبلوغ ذروة ارتفاع الشمس في المدار الشمالي، والثاني في بدء الشتاء، أي الحد الأدنى لنزول الشمس في المدار الجنوبي، ومن ثم يذكر ما روي عن الإمام علي (عليه السلام)[61] .

مما تقدم يظهر لنا

1- إنَّ هذه الرواية التفسيرية صحيحة سندًا.
2- مصدر هذه الرواية كتاب (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق.
3- إنَّ هذه الروايات لها مؤيِّدات مضمونية وردت في كتب المفسرين.
4- إنَّ هذه الرواية يكاد يتفق عليها أغلب المفسرين، ونقلها بعضهم حرفياً.
5- إنَّ هذه الرواية وردت في كتب المفسرينِ القدامى، والمتأخرينِ، والمعاصرينِ.
6- إنَّ هذه الرواية فسَّرَتِ (المشارق): بـــ (360) مشرقا، (فيومها الذي تشرق فيه لا تعود فيه إلَّا من قابل).
7- إنَّ هذه الرواية فسَّرَتِ (المغارب): بـــ (360) مغربا، (فيومها الذي تغرب فيه لا تعود فيه إلَّا من قابل).
8- إنَّ هذه الرواية تتعلق بـــ (التفسير الظاهر).
9- إنَّ هذه الرواية تحل الإشكال لمن ظنَّ- جهلًا منه- وجود تناقض في القرآن.
10-إنَّ هذه الرواية تؤكّد أنَّ القرآن يصدق بعضه بعضا
11-إنَّها تتناول ركنا من ثلاثية موضوعية معرفية قرآنية موضوعها (المشرق، والمغرب).
12-الرواية بينت أنَّ المشارق تشير إلى مجموع مشارق أيام السنة، ومجموع مغرب أيام السنة.
13-الروايات المؤيدة لمضمونها بينت المشارق بصيغة المثنى بكونها مشرق الصيف القريب من الأرض، فتحصل الحرارة، ومشرق الشتاء البعيد من الأرض، فيحصل البرد، ومل قيل عن المشرقينِ، يقال عن المغربينِ
14-الروايات المؤيدة لمضمونها بينت المشرق بصيغة المفرد، بكونها تتحدث عن هذا اليوم، وما قيل عن المشرق، يقال عن المغرب.

5-2: الفرعُ الثَّاني: تفسير المضاف إليه (الفَلَق)

في قوله تعالى: ﴿قُل أعُوذُ برب الفلق﴾ (الفلق: 1)

عن معاوية بن وهب، قال: سألت الإمام الصادق (عليه السلام) عن الفلق، فقال: ((صدعٌ في النَّار فيه سبعُون ألف دارٍ في كل دارٍ سبعون ألف بيت، في كل بيتٍ سبعُون ألف أسود، في جوف كُلّ أسود سبعون ألف جرة سمّ لا بُدَّ لأهل النار أن يمرّوا عليها))[62].

وسند هذه الرواية حسن كالصحيح[63]. وهذه الرواية لم ترد إلا في معاني الأخبار، ويعد كتاب المعاني المصدر الوحيد لها. وقال الشيخ الصدوق: الأسود: الحية [64]، قال الشيخ القُمي (حيٌّ: 307هـ) في تفسير الفلق: ((الفلق جُبٌّ في جهنّم يتعوّذ أهل النار من شدّة حرّه، فسأل الله أن يأذن له أن يتنفّس، فأذن له فتنفّس فأحرق جهنّم، قال: وفي ذلك الجُبّ صندوق من نار يتعوذّ أهل ذلك الجُبّ من حرّ ذلك الصندوق، وهو التابوت، وفي ذلك ستّة من الأوّلين، وستة من الآخرين. فأما الستّة من الأولين: فابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود إبراهيم الّذي ألقى إبراهيم في النار، وفرعون موسى، والسّامريّ الّذي اتّخذ العجل، والّذي هوّد اليهود، والّذي نصّر النصارى. وأما الستّة من الآخرين، فهم الأول، والثاني، والثالث، والرابع، وصاحب الخوارج، وابن ملجم لعنهم الله))[65].

أما أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت:450هـ) فمن الوجوه التي ذكرها، وهي تلتقي مع مؤدَّى الرّواية: ((إن الفلق سجن في جهنم، قاله ابن عباس، إنه اسم من أسماء جهنم، قاله أبو عبد الرحمن))[66]، والمراد بالأخير: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ت/182هـ)[67] .

قال البغوي (ت: 516هـ): وروي عن ابن عباس أنه قال: الفلق: سجن في جهنم، أما الكلبي: محمَّد بن السَّائب (ت/146هـ) فقد قال: واد في جهنم[68]. ووردتْ هذه الوجوه عند الطبرسي (ت: 548هـ) إذ قال: ((... وروي عن السُّدِّيّ- المفسِّر (ت/127هـ)- أنه قال: جب في جهنم يتعوذ أهل النار من شدة حره وهذا القول ذاته ذكره أبو حمزه الثمالي- المفسِّر (ت/150هـ)- والقُمي في تفسيريهما[69].

وذكر العروسي (ت:1112هـ): رواية الشيخ الصدوق المذكورة آنفاً، عند تفسيره للآية الكريمة، وقال: حسب ما ورد في الروايات أن الفلق أشد شيء في جهنم عذاباً، لذا جاء التعوذ منه باسم الله الأعظم لشدة عذابه))[70] أما الفيض الكاشاني (ت: 1091هـ) فقد اكتفى بالرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق المذكورة آنفاً عند تفسيره للآية الكريمة[71]، في حين أنه ورد وجه آخر إلى جنب هذا الوجه هو (الصبح)، ذكره الماوردي[72]، والأندلسي(ت:546ه)[73]، والبغوي إذ قال: ((أما الضحاك فقد قال: أريد بالفلق: الخلق))[74]، والطبرسي[75] وهذا القول ذكره السيوطي (ت:911ه)[76]، وأبو بكر الجزائري (ت:1439هـ)[77]. وهو قول أغلب المفسرين من المتقدمين والمتأخرين، وبهذا قال المعاصرون، وذكروا الوجه المتأتى من الرواية، وهو (الجب)، نحو: الطباطبائي (ت:1402هـ) إذ قال: ((الفلق: والغالب إطلاقه على الصبح لأنه المشقوق من الظلام، وعليه فالمعنى أعوذ برب الصبح الذي يفلقه ويشقه ومناسبة هذا التعبير للعوذ من الشر الذي يستر الخير ويحجب دونه ظاهر. وقيل: المراد بالفلق كل ما يفطر ويفلق عنه بالخلق والإيجاد فإن في الخلق والإيجاد شقا للعدم وإخراجا للموجود إلى الوجود فيكون مساوياً للمخلوق، وقيل: هو جب في جهنم ويؤيده بعض الروايات))[78].

أما الشيخ المرجع المعاصر ناصر مكارم الشيرازي فقد قال: ((وكل واحد من هذه المعاني الثلاثة (طلوع الصبح ــ وولادة الموجودات الحيّة ــ وخلق كل موجود) ظاهرة عجيبة تدل على عظمة الباري والخالق والمدبر، ووصف الله بذلك له مفهوم عميق. وفي بعض الروايات جاء أنّ الفلق بئر عظيم في جهنم تبدو وكأنها شق في داخلها، وقد تكون الرواية إشارة إلى أحد مصاديقها لا أن تحدّ المفهوم الواسع لكلمة الفلق))[79].

وملاحظ أنَّ أغلب الروايات الواردة عن أهل البيت او غيرهم أشارت إلى أن الفلق (جب في جهنم او صدعٌ في النار) وهذا ما ذكره الشيخ الصدوق بالرواية الواردة عن أبي عبدالله (عليه السلام). أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسيرهم للفلق، فيذكر القُمي والماوردي وغيرهم أنه جب في جهنم، وتوسعوا في تفسير ذلك، في حين اكتفى آخرون بذكر الروايات فقط. وذهب قُسم آخر أنه أريد بالفلق الصبح، وقد أضاف بعض المعاصرين مصاديق جديدة للفلق مضافة إلى (جهنم)، او (الصُّبح).

مما تقدم يظهر لنا

1- إنَّ هذه الرواية التفسيرية سندها حسنٌ كالصحيح.
2- مصدر هذه الرواية كتاب (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق.
3- إنَّ هذه الروايات وردت في كتب المفسرين- نصًّا او مضموناً- بوصفها تضمنَّت مصداقا من مصاديق الفلق؛ ومما يؤيد ذلك قول ناصر مكارم الشيرازي: بكون الفلق جبا في جهنم هو مصداق من مصاديق الفلق، لا أنَّه منحصر به.

4- ورد إلى جنب هذا المصداق مصداق هو (الصبح) عند المتقدمين والمتأخرين من المفسرين، وقد أضاف له المعاصرون مصاديق أخر، نحو: (ولادة الموجودات الحيّة، خلق كل موجود).
5- إنَّ هذه الرواية يكاد يتفق عليها أغلب المفسرين على مضمونها، ونقلها بعضهم حرفياً.
6- إنَّ هذه الرواية وردت في كتب المفسرينِ القدامى، والمتأخرينِ، والمعاصرينِ.
7- إنَّ هذه الرواية فسَّرَتِ (الفلق): بأنَّه ((صدعٌ في النَّار فيه سبعُون ألف دارٍ في كل دارٍ سبعون ألف بيتٍ، في كل بيتٍ سبعُون ألف أَسود، في جوف كُلّ أسود سبعون ألف جرة سمّ لا بُدَّ لأهل النار أن يمّروا عليها)).
8- إنَّ هذه الرواية تتعلق بـــ (التفسير الظاهر).

الخَاتِمَةُ وَالنَّتَائِجُ

وما خلصنا إليه من هذه الدراسة، نوجزه، بما يأتي:

1- إنَّ التفسير الروائي المتحصل في كتاب (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق له قيمتـــه المعرفيـــة؛ لـــذا وجـــدناه حاضرا في كتب جل المفسرين.
2- وجدنا نوعين من التفسير: الأول: التفسير الظاهر، وهو ما تبناه المفسرون، والثاني: التفسير البـــاطن، وهـــو مختص بالمعصومين (عليهم السلام).
3- نرى أَنَّ التفسير الباطن الوارد بروايات المعصومين (عليهم السلام) مقبول؛ طالما لم يكن معارضًا من ظاهر القرآن، او العقل.
4- إن الاختلاف عند حصوله في الأعم الأغلب اختلاف في المصاديق، فالرواية حملته على أرقـــى المـــصاديق، وهم أهل البيت (عليهم السلام)، والمفسرون حملوه على مصداق آخر، وهو مصداق محتمل أحيانا.
5- مع الاختلاف بين التفسير الروائي وما تبناه المفسرون يمكن الجمع بينهما أحيانا؛ لأن المفسرين أحيانـــا جـــاء تفسيرهم عبارة عن إعادة صياغة لمضمون الرواية المفسرة للنص القرآنيّ
6- إنَّ الروايات المفسرة في كتاب (معاني الأخبار) وردت في كتب الصدوق الأخرى، وبعضها ورد في الكتـــب الأربعة المعتبرة، ولا سيما الكافي للكلينيّ. وهي من جهة السند، كان سندها صحيحًا، او كالصحيح، او حسنًا. وفي هذا تقوية لتلك الروايات.

التَّوصياتُ

ندلي بجملة من التَّوصيات، أَهمُّها:

1- الاهتمام بتراث الشَّيخ الصَّدوق الثَّاني.
2- دراسة التَّفسير الأَثريّ في مصنَّفات الصَّدوق الثَّاني.
3- التَّركيز على التَّفسير الأَثريّ في عهده المبكِّر (القَرْن الثَّالث، والرَّابع الهجريينِ).
4- إجراء موازنة بين نتاج التَّفسير الأَثريّ، ونتاج التَّفسير الاجتهادي عند المفسِّرين.

الهَوامشُ:

[1] الصدوق/ معاني الأخبار، 5/1.
[2] محسن الأَمين/ أَعيان الشِّيعة، 24/1.
[3] الصدوق/ من لا يحضره الفقيه، 5/1.
[4] عبد الله أَفندي/ رياض العلماء وحياض الفضلاء، 10/4.
[5] المجلسيّ/ بحار الأَنوار، 6/1.
[6] الحرُّ العامليّ/ وسائل الشِّيعة، 53/1.
[7] الصدوق/ معاني الأخبار، 1/ مقدِّمة المحقِّق.
[8] المصدر نفسه، 599/2.
[9] أَغا بُزْرُك الطَّهرانيّ/ الذَّريعة، 14/ 72.
[10] الصدوق/ معاني الأخبار، 1/ مقدِّمة المحقِّق.
[11] المصدر نفسه، 40/1.
[12] المصدر نفسه، 40/1.
[13] الصدوق/ التوحيد/ 252.
[14] القُمي/ تفسير القُمي، 1/ 52.
[15] العياشي/ تفسير العياشي، 22/1.
[16] المصدر نفسه، 22/1.
[17] الصدوق/ معاني الأخبار، 40/1.
[18] المصدر نفسه، 40/1.
[19] الصدوق/ التوحيد/ 252.
[20] الكليني/ الكافي،1/ 68.
[21] الثعلبي/ الكشف والبيان، 13/ 125.
[22] الماوردي/ النكت والعيون، 4/ 231.
[23] الطوسي/ التبيان، 9/ 504.
[24] العروسي/ نور الثقلين، 9/ 247.
[25] ابن عاشور/ التحرير والتنوير، 14/ 476
[26] محمد سيد طنطاوي/ التفسير الوسيط، 1/ 408.
[27] الشيرازي/ الأمثل، 18/ 13.
[28] الصدوق/ معاني الأخبار، 40/1.
[29] المصدر نفسه، 40/1.
[30] الصدوق/ التوحيد/ 252.
[31] الكليني/ الكافي،1/ 68.
[32] الطوسي/ التبيان، 9/ 504.
[33] الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي، 4/ 447.

[34] العروسي/ نور الثقلين، 9/ 247.
[35] الشيرازي/ الأمثل، 18/ 13.
[36] المصدر نفسه، 18/ 13.
[37] الصدوق/ معاني الأخبار، 40/1.
[38] الصدوق/ التوحيد/ 252.
[39] الكليني/ الكافي،1/ 68.
[40] الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي، 4/ 447.
[41] المجلسي/ بحار الأنوار، 10/ 105.
[42] العروسي/ نور الثقلين، 9/ 247.
[43] هاشم الحسيني/ دراسات في الحديث والمحدثين/275.
[44] الفيض الكاشاني/ التفسير الصافي، 4/ 447.
[45] القُمي/ تفسير القُمي، 1/ 52.
[46] الثعلبي/ الكشف والبيان، 13/ 125.
[47] الماوردي/ النكت والعيون، 4/ 231.
[48] ابن عجيبة/ البحر المديد/ 244.
[49] الصدوق/ معاني الأخبار، 40/1.
[50] المصدر نفسه، 40/1.
[51] القُمي/ تفسير القُمي، 1/ 52.
[52] الطبرسي/ الاحتجاج، 1/ 386.
[53] الفيض الكاشاني/ التفسير الأصفى، 6/ 107.
[54] علي الشاهرودي/ مستدرك سفينة البحار،2/ 55.
[55] العروسي/ نور الثقلين، 9/ 247.
[56] علي الشاهرودي/ مستدرك سفينة البحار،2/ 55.
[57] القبانجي/ مسند الإمام عليّ، 2/ 260.
[58] الراغب الأصفهاني/ مفردات ألفاظ القرآن، 1/ 259.
[59] شهاب الدّين المصري/ التبيان في تفسير غريب القُرآن، 1/ 426.
[60] العُثيمين/ شرح العقيدة الواسطية، 4/ 7.
[61] الشيرازي/ الأمثل، 18/ 13.
[62] الصدوق/ معاني الأخبار، 40/1.
[63] المصدر نفسه، 40/1.
[64] المصدر نفسه، 40/1.
[65] القُمي/ تفسير القُمي، 1/ 52.
[66] الماوردي/ النكت والعيون، 4/ 231.
[67]http:⁄⁄hadith·islam−db·com⁄narrators
[68] البغوي/ معالم التنزيل، 8/ 595.

[69] الطبرسي/ مجمع البيان، 10/ 440.
[70] العروسي/ نور الثقلين، 9/ 247.
[71] الفيض الكاشاني/ التفسير الأصفى، 6/ 107.
[72] الماوردي/ النكت والعيون، 4/ 231.
[73] ابن عطية الأندلسي/ المحرر الوجيز، 6/ 77.
[74] البغوي/ معالم التنزيل، 8/ 595.
[75] الطبرسي/ مجمع البيان، 10/ 440.
[76] السيوطي/ الدر المنثور، 5/ 114.
[77] الجزائري/ أيسر التفاسير، 4/ 436.
[78] الطباطبائي/الميزان، 2/ 225.
[79] الشيرازي/ الأمثل، 18/ 13.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

أولا: المصادر القديمة

1- الأصفهاني: الراغب (ت/502هـ) " مفردات ألفاظ القرآن "/ د. ط، دار القلم للطباعة والنشر/ د.ت.
2- البغوي: أبو محمد الحسين بن مسعود (ت/516هـ) "معالم التنزيل "تح: محمد عبدالله النمر/ ط4، دار طيبة للنشر/ السعودية، 1417هـ.
3- الثعلبي: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري(ت/427هـ) " الكشف والبيان عن تفسير القرآن "تح: أبي محمد بن عاشور/ط 1، دار إحياء التراث العربي للنشر/ بيروت، 1422هـ ـ 2002م.
4- السيوطي: أبو بكر عبدالرّحمن بن كمال الدين بن مُحمّد بن جلال الدين(ت/911هـ) "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"/د. ط، دار المعرفة للنشر/ بيروت، د.ت.
5- شُهاب الدين: أبو العباس أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي (ت/815هـ) " التبيان في تفسير غريب القُرآن " تح: د. ضاحي عبد الباقي/ ط 1، دار الغرب الإسلامي للنشر/ بيروت، 1423هـ.
6- الصدوق: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت/381هـ)
- " التوحيد " تح: علي أكبر غفاري/ ط 1، مؤسسة الأعلمي للنشر/ بيروت، 1427هـ ـ 2006م.
- " معاني الأخبار" أحمد الماحوزي / ط1، مؤسسة الصادق للنشر/ قم، 1438هـ ـ 2017م.
- " من لا يحضره الفقيه "، تح: حسين الأَعلميّ/ ط1، مؤسَّسة الأَعلميّ للمطبوعات/ بيروت، 1406هـ.
7- الطبرسي: أبو علي الفضل بن الحسن (ت/548هـ)
- " الاحتجاج "تح: السيد محمد باقر الخرسان/د. ط، دار النعمان للنشر/النجف الأشرف،1368هـ ـ 1966م.
- " مجمع البيان في تفسير القرآن "تح:لجنة من العُلماء والمُحققين/ط1، مؤسسة الأعلمي للنشر/بيروت، 1415هـ.
8- الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن(ت/460هـ) "التبيان في تفسير القرآن " تح: أحمد قيصر العاملي/ط1، دار إحياء التراث العربي للنشر/بيروت،1409هـ.

9- العامليّ (الحُرُّ): أَبو جعفر، محمَّد بن الحسن بن عليّ (ت/1104هـ)، "وسائل الشِّيعة إلى تحصيل مسائل الشَّريعة"، تح: مؤسَّسة آل البيت (عليهم السَّلام) لإحياء التُّراث/ قم المشرَّفة، 1400هـ.
10- عبد الله أَفندي (من أَعلام القَرْن الثَّاني عشر الهجري)، "رياض العلماء وحياض الفضلاء "،تح: أَحمد الحُسينيّ/ منشورات: مكتبة آية الله العظمى المَرْعَشيّ النَّجفيّ، د. ط/ قم المشرَّفة، 1403هـ.
11-ابن عجيبة: أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد (ت/1224هـ) "البحر المديد في تفسير القرآن المجيد " تح: عمر أحمد الراوي/ طبعة جديدة، دار الكتب العلمية للنشر/ بيروت، د. ت.
12-العروسي: عبد علي بن جمعة الحويزي(ت/1112هـ) "نور الثقلين "تح: هاشم الرسولي/ط4، مؤسسة إسماعيليان للنشر/ قُم المقدَّسة، 1412هـ.
13-ابن عطية الأندلسي: أبو محمد عبدالحق بن أبي بكر بن عبدالرَّحمن المحاربي(ت/546هـ) " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز "تح: عبدالسلام عبدالشافي محمد/ط1، دار الكتب العلمية للنشر/ بيروت، 1413هـ.
14-العياشي: أبو النضر محمد بن مسعود بن محمد بن العياش التميمي السمرقندي (ت/320هـ) "تفسير العياشي "تح: السيد هاشم الرسولي / د. ط، المكتبة العالمية لأهل البيت(عليهم السلام) للنشر/ طهران، د. ت.
15-الفيض الكاشاني: محمد محسن بن مرتضى بن محمود (ت/1091هـ)
- " التفسير الأصفى " تح: مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية/ ط1، د. م، 1442هـ.
- " التفسير الصافي " تح: حسين الأعلمي/ ط 2، مؤسسة الهادي للنشر/قُم المقدسة، 1416هـ.
16-القُمي: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم (حيٌّ/307هـ) " تفسير القُمي" تح: مؤسسة الإمام المهدي/ ط 1، مؤسسة الإمام المهدي للنشر/ قُم، 1438هـ ـ 2017م
17-الكليني: أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت/328هـ) " الكافي "ط1، مؤسسة الأعلمي للنشر/ بيروت، 1426هـ ـ 2005م.
18-الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي(ت/ 450هـ) "النكت والعيون "تح: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم/ د. ط، دار الكتب العلمية للنشر/ الرياض، 2010م.
19-المجلسي: محمد باقر(ت/1111هـ) "بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تح: يحيى الزنجاني/ ط 2، مؤسسة الوفاء للنشر/ بيروت، 1403هـ ـ 1983م.

ثانيا: المراجع الحديثة

20-أَغَا بُزُرُگ الطَّهرانيّ (ت/1390هـ)،"الذّريعة إلى تصانيف الشِّيعة "/ط3،دار الأَضواء/ بيروت، 1411هـ.
21-الجزائري: أبو بكر جابر بن عبدالله (ت/1439هـ) "أيسر التفاسير لكلام العلي القدير "/ط 1/السعودية، 1407هـ.
22-الحسيني:هاشم معروف (معاصر) " دراسات في الحديث والمحدثين " ط 2، قُم، 1398هـ ـ 1978م.
23-الشيرازي:ناصر بن محمد كريم بن محمد باقر مكارم(معاصر) "الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل"/ المكتبة الإلكترونية،المكتبة الشاملة.
24-الطباطبائي:محمد حسين (ت/1402هـ) " الميزان في تفسير القُرآن "/د. ط، منشورات جماعة المُدرسين في الحوزة العلمية/ قُم المُقدسة، د. ت.
25-العُثيمين: محمد بن صالح(ت/1421هـ) "شرح العقيدة الواسطية " المكتبة الإلكترونية، المكتبة الشاملة.

26-القبانجي: أبو علاء حسن ابن السيد علي ابن السيد حسن (ت/1423هـ) " مسند الإمام علي (عليه السلام) " تح: طاهر السلامي/ د. ط، الأعلمي للمطبوعات/ بيروت، د. ت.
27-محسن الأَمين الحُسينيّ العامليّ (ت/1371هـ)، "أَعيان الشِّيعة "/ ط1، مطبعة الإِتِّقان/ دمشق، 1365هـ.
28-محمد سيد طنطاوي (ت/1431هـ) " التفسير الوسيط للقرآن الكريم "/المكتبة الإلكترونية/مكتبة أهل البيت، البيت(عليهم السلام)، الإصدار الثاني.
29-محمد الطاهر بن عاشور(ت/1392هـ) " التحرير والتنوير "/ د. ط، مؤسسة التاريخ للنشر/ بيروت، د.ت.
30-النمازي: علي الشاهرودي (ت/1405هـ) " مستدرك سفينة البحار "تح: الشيخ علي بن حسن النمازي/ د. ط/قُم المقدسة، 1419هـ.

ثالثا: مواقع الانترنت

31- http:⁄⁄hadith·islam-db·com⁄narrators